دور الآثار والنصوص المسمارية في تعزيز هوية العراق

أ.د. عامر سليمان[*]

أجمع الباحثون العرب والأجانب على أن ارض الرافدين وخاصة قسمها الجنوبي كانت قد شهدت مولد إحدى اعرق الحضارات البشرية وأكثرها أصالة [1]، وقد نمت تلك الحضارة وازدهرت في الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد، وغدت المنهل الذي نهلت منه الحضارات المجاورة المعاصرة لها واللاحقة بها، ولا تتجاوز الحقيقة إذا قلنا إنَّ تأثيرات تلك الحضارة العريقة ورواسبها ما زالت ظاهرة في عدد من جوانب حياتنا المعاصرة، ومع ذلك لم يكن يعرف عن حضارة العراق القديم وعن بناتها حتى أواسط القرن التاسع عشر الميلادي شيء يعتد به؛ لغياب الآثار التي تدل عليها والوثائق التي تفصح عن جوانبها المختلفة وتحدد هويتها، إذ ما كان معروفا عن تلك الحضارة وعن بناتها حتى بدأت أعمال التنقيب والكشف عن الآثار، لا يتعدى ما ذكرته بعض أسفار العهد القديم (التوراة جوازاً) عن الآشوريين والبابليين التي جاءت مليئة بحقد كاتبي تلك الأسفار الدفين، وبغضهم وكراهيتهم الظاهرة لكل من هو من غير اليهود، وبخاصة للآشوريين والبابليين، وتعصبهم الديني ومحاولاتهم طمس الحقائق وتشويهها لتحقيق أهدافهم غير المشروعة ومزاعمهم الباطلة في ارض فلسطين ودولتهم الموعودة التي تمتد – في زعمهم – من الفرات إلى النيل. كذلك ما كتبه الكتاب الكلاسيكيون الذين زاروا بلاد الرافدين، أو نقلوا عن غيرهم ممن زار المنطقة، وما دونه الرحَّالة والسوَّاح الذين

(*) عضو المجمع العلمي وأستاذ في قسم الآثار- كلية الآداب/ جامعة الموصل..

(1) ينظر هنري فرانكفورت، فجر الحضارة في الشرق الأدنى، 1950 ترجمة ميخائيل خوري، ص13.

جابوا المنطقة ووصفوا مشاهداتهم لعدد من الآثار التي كانت شاخصة وقت زياراتهم أو كانت قد تهدمت، وما نقلوه من روايات سمعوها من السكان المحليين عن ماضيهم الذهبي وعن الكنوز التي تبطنها المواقع القديمة المختلفة، ومن الواضح أنَّ جميع هذه المصادر غير موثوقة وطغى على أخبارها المبالغة أحيانا والخيال أحيانا كثيرة أخرى، ومشوّشة تخلط بين أسماء الحكام والعصور والمواقع، وفي جميع الأحوال لم تنقل صورة صحيحة عن تاريخ العراق القديم ولم تتصف بالمصداقية[2].

وفي القرن التاسع عشر الميلادي بدأت محاولات الباحثين الأجانب لفك رموز الكتابة المسمارية التي نقل عددا من ألواحها الحجرية أو مستنسخاتها السواح والدبلوماسيون الأجانب الذين زاروا المنطقة، وبعد محاولات جادة ومضنية، تمكنوا من حل رموز تلك الكتابات، وأعلنوا رسمياً ذلك في عام 1857م، وقد شجعت مضامين النصوص المسمارية أجانب آخرين للتنقيب في مدن العراق القديمة الرئيسة بحثا عن المزيد من تلك الكتابات، وعن الآثار المتحفية التي يحتمل أن تكون فيها، وبحثا عن بقايا المدن التي ورد ذكرها في أسفار العهد القديم مثل مدينتي نينوى وكلخُ (نمرود)، إضافة إلى ما قد تسفر عنه التنقيبات من الكشف عن الكنوز الأثرية التي يتحدث عنها السكان المحليون، وتؤكدها المكتشفات، فتتابعت بعثات التنقيب وسارعت إلى الوصول إلى المواقع المهمة قبل غيرها، وكانت المنافسة بينها شديدة جداً غير متسمة بالعلمية، وقد نجحت البعثات الأجنبية في الكشف عن آثار العراق القديم المهمة والكثيرة إذ لم يكد القرن التاسع عشر ان ينقض إلا وكانت متاحف أوربا الشهيرة ومخازنها قد ملئت بالتماثيل والمنحوتات الآشورية وبالثيران المجنحة والمسلات والرقم الطينية التي تحمل كتابات مسمارية، ومن ضمنها رقم

(2) ينظر: عامر سليمان، مصادرنا عن تاريخ العراق القديم وتقويمها، آداب الرافدين، 37/ 2003، ص114.

مكتبة أشور بان ابـلي (أشور بانيبال) الشهيرة، والى غير ذلك من الآثار المتحفية النفيسة التي يمكن بها تحديد هوية حضارة العراق القديم وهوية بناتها وبيان دورهم البارز في إغناء الحضارة البشرية.

لقد كان من نتائج ما حققته التنقيبات الأولى من نجاح باهر، وعلى الرغم من عدم علميتها أن جندت عدد من المؤسسات والجمعيات والمتاحف العلمية الرسمية والخاصة عدداً من الباحثين للالتحاق ببعثات التنقيب وخصصت لهم الدعم المادي اللازم والتشجيع على السفر إلى العراق والعمل على الكشف عن المزيد من الآثار والمزيد من الكتابات المسمارية [3]، ومما زاد في اهتمام الأجانب بآثار العراق وشجع الجمعيات اللاهوتية إلى دعم بعثات التنقيب فيه ما كشفت عنه مضامين عدد من النصوص المسمارية، خاصة تلك التي اكتشفت في مدينة نينوى، وما وجد فيها من تشابه كبير مع ما ورد في عدد من أسفار العهد القديم الذي يؤلف القسم الأول من الكتاب المقدس من القصص والأخبار والأحكام، مثل قصة الطوفان وغيرها، وعدَّ بعضهم ذلك دليلا على عمق الروابط بين النتاج الحضاري الرافديني والتوراتي ... وبرهاناً على أصالة اشتقاقه[4]"، أي: اشتقاق ما ورد في أسفار العهد القديم، ومن خلال هذا الربط حاول الباحثون الأجانب الذين كان اغلبهم من اليهود أو الموالين لهم، مد تاريخ اليهود الذي يفترض به أنه يبدأ مع بعثة النبي موسى (عليه السلام) في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وفق ما هو متفق عليه بين الباحثين، إلى عمق التاريخ العراقي القديم، إلى العهد الذي يظن أن إبراهيم

(3) ينظر تفصيل ذلك: بهنام أبو الصوف، دور التنقيبات الاثارية في الكشف عن حضارة العراق القديم، في: حضارة العراق، ج 1، ص، 1985 وجابر خليل إبراهيم، الأنشطة الاثارية في موسوعة الموصل الحضارية، موصل1991،ج1، ص489 وما بعدها.

(4) نقلا عن فاضل عبد الواحد علي، من ألواح سومر إلى التوراة، بغداد، 1989، ص40.

(عليه السلام) عاش فيه؛ تأكيداً لمزاعمهم غير المشروعة وتحقيقا لأهدافهم السياسية المعروفة.

من هذا يتبين لنا أنَّ أهداف الباحثين الأجانب من دراسة تاريخ العراق القديم وآثاره وكتاباته المسمارية تحددت أولا بالبحث عن الشهرة والمال ومن ثم التأكيد على صحة ما ورد في عدد من أسفار العهد القديم وأصالة اشتقاقه؛ إلى جانب أهداف الدول الاستعمارية المعروفة السياسية والاقتصادية في مختلف أرجاء الوطن العربي ثانيا، ولم يكن هناك من يبحث عن الحقيقة ويكتب التاريخ من أجل ذلك إلا عدداً محدوداً جداً وكان تأثيرهم مقصوراً على جوانب معينة مما خلفه لنا العراقيون القدماء، ومن المؤكد انه لم يكن بين الباحثين الأجانب من يهدف إلى تعزيز هوية العراق وإبراز دوره القيادي في بناء الحضارة البشرية أو البحث عن أصول معتقداته الدينية أو أصول غالبية سكانه العرقية، وبيان علاقة لغاته القديمة باللغة العربية ولهجاتها المحلية في العراق، كما لم يرد بخلد أحد من الباحثين الأجانب، كما تؤكد ذلك كتاباتهم المنشورة، أن يرجع إلى ما ورد في القران الكريم من أخبار عن القرون الأولى وعن الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله – سبحانه وتعالى – إلى هذه الأرض المعطاء ويتلمسوا ما تركته رسالات أولئك الأنبياء والرسل من تأثيرات في معتقدات القوم الدينية وعاداتهم وتقاليدهم وقوانينهم، كما رجعوا إلى كتاب العهد القديم وربطوا بين ما ورد فيه مع ورد في النصوص المسمارية، وتفسير هذا الإغفال لما ورد في القران الكريم وعدم اعتماده مصدر رئيسا من مصادر معلوماتنا عن التاريخ القديم – في رأينا – ناتج إما عن جهل بما ورد في القران الكريم من أخبار وأحكام أو إنكار لقدسية الكتاب – وظن خاطئ بأنه قد نقل عما سبقه من كتب باعتباره الأحدث – أو لعدم الإيمان بصحة ما ورد فيه وبدقته،

وفي جميع الأحوال فإنَّ ذلك يعد مأخذاً علمياً يؤشر على جميع البحوث الصادرة حتى الآن عن تاريخنا القديم عربية كانت أم أجنبية يجب التنبيه لها[5].

لقد كان من المؤمل أن تكشف التنقيبات الأثرية وتؤكد النصوص المسمارية أصالة حضارة العراق القديم وتحدد سماتها ومقوماتها وتؤطر هويتها وهوية بناتها العرقية والثقافية والدينية وتعززها، كما تفعل الآثار والوثائق عادة، وقد حدث ذلك فعلا إلا انه جاء بغطاء مموه طمست من خلاله وبسببه هوية العراق والعراقيين.

ولقد نشر منذ أن بدأت أعمال التنقيب في العراق وحتى الآن كم هائل من البحوث والدراسات الأجنبية لا يوازيه ما صدر عن أي بلد آخر من بلدان العالم ومع ذلك. فإنَّ غالبية تلك البحوث والدراسات العظمى جاءت غفلاً من ذكر العراق والعراقيين، وقد قدر أن يكون معظم الكتاب الرواد الذين كتبوا عن تاريخ العراق القديم من الأجانب، قديماً قام الأحبار اليهود بكتابة أسفار العهد القديم (في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد) وهم أسرى في بابل بكتابة بعض أخبار بلاد بابل وأشور، وتبعهم الكتاب الكلاسيكيون، ومن ثم الرحالة والسواح الأوربيون. أما حديثا فقد كان الكتاب الأوربيون، ومن ثم الأمريكان وعدد من الباحثين من الشرق الأقصى قد تصدوا لكتابة تاريخ العراق القديم ولم يسهم العرب، وخاصة العراقيين في كتابة تاريخهم القديم وتعلم لغاته وقراءة نصوصه المسمارية إلا عدداً محدوداً جداً من العراقيين وفي وقت متأخر جداً، أي أواسط القرن العشرين، وكانت مهمة الباحثين العراقيين الرواد الأولى المتخصصين لدراسته ودراسة الآثار المكتشفة، أو الكشف عن المزيد منها، وقد نجحوا في ذلك نجاحا كبيرا لكنه لم يكن كافيا لإرساء قواعد متينة لمدرسة عراقية متخصصة لدراسة تاريخنا القديم.

ان معظم الدراسات والبحوث ذات العلاقة بتاريخ العراق القديم التي صدرت

(5) حول ذلك ينظر: عمر سليمان، من القران الكريم إلى النصوص المسمارية، مجلة المجمع العلمي، بغداد، 1998.

وما تزال تصدر عن تاريخ العراق القديم جاءت وهي لا تحمل اسم (العراق) المتمثل حاليا بحدود جمهورية العراق، بل انها استخدمت تسميات أجنبية أو قديمة ورد ذكرها في النصوص المسمارية، وربما كان الهدف من ذلك محاولة من عدد من الباحثين الأجانب عزل تاريخ العراق القديم عن حاضره، أو رغبة في استخدام تسميات أوربية الأصل لاسيما وان منها ما ورد ذكره في كتاب العهد القديم، ومن اكثر التسميات التي شاع استخدامها عند الباحثين الأجانب هو اسم ميزوبوتاميا Mesopotamia، وهو اسم يوناني يعني حرفيا: (بين النهرين)، وورد في النسخة اليونانية من العهد القديم بديلا عن تسمية (ارام نهريم) اي (ارام النهرين) التي لم يكن يقصد منها الأراضي الواقعة بين نهري دجلة والفرات بل يرجح أن يكون النهران المقصودان في التوراة نهري الفرات والخابور، أو نهري الخابور والباليخ أو كلا هذين النهرين مع الفرات في حين استخدم الكتاب الكلاسيكيون الاسم للدلالة على القسم الشمالي من العراق [6] المحصور بين دجلة والفرات من الشمال إلى حدود بغداد تقريباً وذلك منذ القرن الثالث قبل الميلاد فصاعدا، ثم اتسع مدلول التسمية ليشمل جميع الأراضي المتمثلة بأرض العراق الحالي [7]، وقد وقعت التسمية موقعاً حسنا في نفوس الباحثين الأجانب على الرغم من عدم دقتها وعدم ارتباطها بالعراق الحديث، وقد وصف أحد الباحثين الأجانب حضارة العراق القديم بأنها: "وجه حضارة ميتة[8]"، وقد استخدم عدد من الباحثين العرب أنفسهم وخاصة

(6) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد، ط3، 1973، ص11 وملاحظة 6.

(7) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(8) Oppenhenins, L, Ancient Mescpctamia a portrate of a Dead civilization Chicago, 1964.
وترجمة إلى العربية سعدي فيضي بعنوان 'بلاد ما بين النهرين'، وجدير بالإشارة في هذا المقام فان مؤلف الكتاب من اليهود الألمان الذين هاجروا إلى أمريكا وكان ممنوعا عليه حتى مماته، دخول العراق؛ لميوله الصهيونية.

المصريين منهم تسمية ميزوبوتاميا[9]، في حين ترجمها آخرون إلى العربية فأطلقوا على العراق اسم 'بلاد ما بين النهرين' التي غدت فيما بعد تسمية شائعة ولاسيما كونها تسمية توراتية، كما استخدم الباحثون الأجانب تسميات قديمة أخرى للدلالة على العراق القديم منها بلاد أشور بصيغة Assyria، وفيها أجريت أولى التنقيبات الأثرية في العراق، أو بلاد بابل بصيغة Babylonia أو الاسم الثاني لبابل وهو 'كلديا' Chaldea، نسبة إلى قبيلة كلدو التي ينتمي إليها نبوكدُّر أُصُّر (نبوخذ نصر) الشهير، أو بلاد سومر Sumer أو أكد Akkad، وهما تسميتان أطلقتا على أقصى جنوب العراق والقسم الوسطي منه على التوالي، كما استخدم عدد من الباحثين أسماء المدن المهمة خاصة تلك التي ورد ذكرها في كتاب العهد القديم من باب إطلاق اسم الجزء الأهم على الكل مثل: بابل وأشور ونينوى ونمرود وأور، وقد لا توحي أي من هذه التسميات على مضمون البحث أو الكتاب هو خاص بتاريخ 'العراق القديم' إلا لدى المتخصصين بهذا التاريخ إلا أنها تثير لدى قراء الكتاب المقدس الرغبة في القراءة وتشدهم لمعرفة المزيد عن هذه المدن التي طالما قرأوا عنها في كتابهم المقدس.

ولم تقتصر البحوث الأجنبية في محاولاتها عزل ماضي العراق عن حاضره وطمس هويته التي تفصح عنها حضارته الأصيلة ووثائقه المسمارية الكثيرة على استخدام تسميات غريبة أو قديمة بدلاً عن اسم العراق، بل تعدتها إلى أسلوب دراسة هذا التاريخ وكيفية دراسة الوثائق المسمارية ونقل لغاتها ومضامينها إلى القاري المعاصر.

لقد كان الباحثون الأوربيون هم أول من حاول فك رموز الكتابة المسمارية وقراءة مضامينها – وقد أشرنا سلفاً إلى ذلك – وكان عليهم أن ينقلوا لغات تلك

(9) نجيب ميخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم، القاهرة، 1965.

الكتابات القديمة التي لا يعرف قراءتها إلا عدد محدود جدا من المتخصصين إلى القارئ الاعتيادي، وان يترجموا مضامينها إلى اللغات الحديثة، وكان طبيعيا استخدامهم الخط اللاتيني المستخدم لديهم لتدوين لغاتهم الأوربية على الرغم من أنه لا يعبر تعبيرا صادقا عن أصوات اللغات العراقية القديمة وخاصة اللغة الاكدية العارية، ومن المعروف أن اللغات العارية – ومنها اللغتان الشقيقتان العربية والاكدية – تضم بين أصواتها الصامتة أصواتاً حلقية وأخرى مفخّمة غير موجودة في اللغات الهندية – الأوربية التي وجد الخط اللاتيني لتدوينها، لذا خلا الخط اللاتيني من رموز تعبر عن هذه الأصوات، وكان على الباحثين الروّاد أن يستحدثوا رموزا وإشارات أضافوها إلى الخط اللاتيني لتجاوز هذا النقص عند تدوين اللغة الاكدية. إلى جانب ذلك، فقد تكون النصوص المسمارية مدونة باللغة الاكدية أو باللغة السومرية، وهما لغتا العراق القديم الرئيستان، أو بكلتيهما في النص الواحد، كما أن غالبية النصوص الاكدية تضم جملا أو عبارات أو مفردات سومرية، لذا كان على الباحثين أن يستخدموا طرائق خاصة لتمييز النصوص الاكدية عن النصوص السومرية، وتمييز الجمل والعبارات والمفردات السومرية عن النص الاكدي عند التدوين بالخط اللاتيني، لأن النصوص المسمارية لم تفرق بين اللغة السومرية واللغة الاكدية عند التدوين، وكانت معرفة القاري القديم والكاتب القديم بطبيعة هذه النصوص وبأسلوب قراءتها كاف للتمييز، وهكذا نقلت النصوص السومرية والاكدية المدونة بالخط المسماري إلى القارئ بالخط اللاتيني برموزه وإشاراته الكثيرة المستحدثة وبطرائقه الخاصة التي تميز اللغة السومرية عن اللغة الاكدية، وجاءت البحوث والدراسات ذات العلاقة بلباس أوربي غريب حتى على الأوربيين أنفسهم، ويصعب قراءة تلك النصوص إلا على المتخصصين في دراسة اللغات القديمة، أما القاري العربي فقد غدت تلك البحوث والدراسات لديه غريبة عليه تماما لاسيما وان ترجمة تلك النصوص كانت إلى اللغات الأوربية

حصرا، ولم تثر لديه أي اهتمام أو محاولة لدراسة تلك اللغات القديمة من ميزوبوتاميا.

أما الدراسات اللغوية ذات العلاقة باللغة الاكدية التي هي لغة غالبية النصوص المسمارية المكتشفة فقد قدمت من منظور دراسة اللغات الهندية – الأوربية بالدرجة الأساس فاستخدمت تسميات ومصطلحات أوربية على الصيغ والمشتقات الاكدية التي لا تعبر أحيانا عن حقيقة ما أطلقت عليه، وقد واجهتنا صعوبات كثيرة عندما حاولنا كتابة قواعد اللغة الاكدية باللغة العربية لذلك علينا أن نعيد تسمية العديد من الصيغ والأشكال اللغوية بما يوازي ما هو مستخدم في دراسة اللغة العربية فليس من اليسر تغيير ما اعتاد عليه الطلبة والباحثون المتخصصون في عشرات السنين ببحث واحد أو عدد قليل من البحوث العربية، كما ان الأجانب أطلقوا على العلم الذي يدرس اللغة الاكدية بلهجاتها البابلية والآشورية المختلفة اسم 'علم الاشوريات' Assyriology، ربما لأن النصوص الأولى التي ترجمت ودرست كانت من بلاد أشور، وما زالت التسمية على الرغم من عدم دقتها مستخدمة حتى الآن.

إن هذه الظروف التي أحاطت بدراسة تاريخنا القديم وبقراءة نصوصه المسمارية تستوجب منا تمحيص كل ما كتبه الأجانب عن تاريخ العراق القديم وتدقيقه وتنقيته من تأثيرات أسفار العهد القديم، وكتابات الكلاسيكيين وغيرها من المصادر القديمة التي تحمل في طياتها أهدافاً غير موضوعية يرمي كثير من الكتاب الأجانب إلى تحقيقها مضافا إليها المقاصد السياسية والاقتصادية التي تعمل الدول الأجنبية على تحقيقها في بلدان الشرق، ومنها العراق، ومن النفوذ إلى هذه البلدان ودراسة أحوالها عن طريق هيئات التنقيب عن الآثار ودعمها ماديا وسياسيا وتوجيه نتائجها ومساعيها لخدمة أهدافها، وقد لا يكون من باب الصدفة أنّ أغلب

المنقبين الرواد في العراق كانوا من العاملين في القنصليات الأجانب، أو قادة في الجيوش من أمثال بوتا وليرد ويـلاس وغيرهم.

ولا يتم ذلك في رأينا – إلا من خلال اعتماد مدرسة عراقية متميزة تُعنى بدراسة تاريخ العراق القديم وقراءة النصوص المسمارية وترجمتها، وترجمة الدراسات والبحوث الأجنبية والتعليق عليها؛ لهدف معرفة حقيقة ما وقع فعلا من أحداث وتطورات سياسية وحضارية دون إغفال أي جانب من الجوانب السلبية أو الإيجابية علها تعيننا في فهم الحاضر وبناء المستقبل، وان الهدف الأساس من دراسة التاريخ القديم هو ليس للتباهي والتفاخر بما حققه الأسلاف من ابتكارات وقفزات حضارية كانت أساسا للحضارة الإنسانية بعامة بل لتلمس نقاط الضعف التي أصابت الدول والممالك القديمة المتعاقبة على حكم العراق وأدت إلى سقوطها وانهيارها، وأسباب الغزو المتكرر الذي تعرض له العراق متدبرين في ذلك قول الله عز وجل في كتابه العزيز: "أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وأثارا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون" (سورة غافر، آية 82).

إن من اولى مهام الباحث العراقي – في رأينا – ان يعيد تقييم المصادر التي استمد منها الباحثون الأجانب معلوماتهم عن تاريخنا القديم حتى القديمة منها، مثل الآثار والنصوص المسمارية المكتشفة؛ لأن الآثار والنصوص المكتشفة تمثل آثار القصور والمعابد ووجهة نظرها في مختلف اوجه الحياة، وهي وجهة نظر السلطة الحاكمة الدينية أو الدنيوية التي لا تخلو بأية حال من الأحوال من المقاصد الدعائية والإعلامية أو الدينية، وقلما نجد نصا مسماريا ذو أهمية تاريخية، مثلا، صادر عن غير القصر أو المعبد أو بتوجيه من أحدهما؛ لذا غابت عنا وجهة نظر عامة الناس من المواطنين الاعتياديين لأنه لابد أن يكون بينهم من يعارض السلطة الحاكمة، كما غابت عنا وللسبب نفسه أخبار الرسل والأنبياء، الذين جاؤوا تباعا إلى هذا البلد

المعطاء، منهم من نعرف عنهم أشياء معينة ورد ذكرها في القران الكريم وتحدثت عنهم أسفار العهد القديم، مثل النبي نوح، والنبي إبراهيم، والنبي يونس عليهم السلام، ومنهم من لا نعرف عنهم شيئاً، لكنه يمكن أن نتلمس آثار الدعوات التوحيدية في معتقدات العراقيين القدماء وفي قوانينهم وتقاليدهم غير أنها جاءت بلباس الشرك والتشبيه وقد حذف منها وأضيف إليها من خيال الكهنة والحكام ما ينسجم ومعتقدات القوم وأفكارهم ونظرة السلطة الحاكمة وقت تدوينها لأول مرة؛ لذا كان على الباحث العلمي الذي يبحث عن الحقيقة فعلا ولا تدفعه إلى ذلك مقاصد وأهداف غير مشروعة ان ينطلق في بحثه مما ورد في القران الكريم من إشارات مقتضبة عن تاريخنا القديم التي ذكرت للعبرة والموعظة ويعتمدها أساسا للبحث عن خلفيات تلك الإشارات وتفاصيلها وما عكسته عنها النصوص المسمارية آخذاً بنظر الاعتبار ما طرا عليها من تغيير وإضافة أو حذف، كما المحنا إلى ذلك سلفاً وعليه أن يأخذ بالحسبان ما ورد عن تلك الإشارات في كتاب العهد القديم التي صُوّرت هي الأخرى بما ينسجم ومقاصد الأحبار اليهود الذين دونوها بعد أكثر من ستة قرون من وفاة موسى (عليه السلام).

إن إغفال ما ورد في القران الكريم من أخبار وعدم اعتماده مصدرا أساسياً وأولا من مصادر معلوماتنا عن التاريخ القديم يعد نقصاً علمياً يؤشر على جميع البحوث الصادرة أجنبية أم عربية وتقليداً من الباحثين العرب، خاصة المسلمين منهم، غير مدروس للمدارس الأجنبية في دراسة تاريخنا القديم.

أما بالنسبة لدراسة النصوص المسمارية وكيفية نقلها إلى القارئ المعاصر، فان على الباحث ان يعتمد المدرسة العراقية في تدوين اللغات العراقية القديمة التي دعونا إليها منذ اكثر من ثلاثين سنة، وان يستخدم الخط العربي الذي يمثل – في رأينا – انسب الخطوط وأكثرها ملاءمة لتدوين اللغة الاكدية، وهي لغة عاربة شبيهة باللغة العربية وشقيقة لها، فإننا في استخدامنا الخط العربي لتدوين اللغة

الاكدية سنتجاوز عددا من الصعوبات التي واجهت الباحثين عند استخدام الخط اللاتيني، والخطوة الثانية بعد استخدام الخط العربي لتدوين اللغة الاكدية، التي نأمل أن يحققها الباحثون الشباب من المتخصصين، تجاوز السلبيات التي افرزها الخط المسماري على اللغة الاكدية واختفاء العديد من الأصوات الحلقية والمفخمة من النصوص الاكدية، عند التدوين في الأقل، فإننا نعتقد أن تلك الأصوات لم تختف من على الستة المتكلمين باللغة الاكدية.

وقبل كل شيء، يجب أن تحمل جميع البحوث والدراسات ذات العلاقة بتاريخ العراق القديم وبنصوصه المسمارية اسم العراق مؤكدة وحدة حضارته وإستمراريتها على الرغم من التغيرات السياسية والغزوات العسكرية والهجرات القبلية التي تعرض لها عبر العصور، ونبذ التسميات الأجنبية والتوراتية/القديمة/ التي طمست هوية العراق والعراقيين، وتنضبط هذه التوصية. على أسماء الحكام والملوك والقادة أيضا التي جاءت في بحوثنا بصيغها التوراتية واستخدام الأسماء الحقيقية كما وردت في النصوص المسمارية، خاصة أسماء الملوك الآشوريين والبابليين المتأخرين.

إن تحقيق أهداف المدرسة العراقية في دراسة تاريخنا القديم – وهو عنوان الكتاب الذي نقوم حاليا بتأليفه والذي يتضمن خلاصة تجربتنا الخاصة في الخمسين سنة الماضية التي قضيناها بين الدراسة والتدريس والتأليف والترجمة في هذا الحقل من المعرفة، وتثبيت أسسها وترصينها – كفيل بأن يحدد هوية العراق والعراقيين ويعززها.

Abstract

The Role of Antiquities and Cuneiform Texts in Establishing Iraq Entity

Prof. A. Sulaiman, Ph. D. [*]

Iraq is the Cradle of one of few original civilizations in the world. This fact is indicated by the archaeological finds that resulted from the excavations since the mid of nineteenth century. These excavations came out with tens of hundreds of Cuneiform texts inscripted on clay and stone tablets. These tablets, in turn, reflects many aspects of ancient Iraqi civilization. Foreign scholars embarked on studying these antiquities. It is significant to know that many of the texts read have a great similarity with what mentioned in the Old – Testament. This fact is elucidated by tens of papers and studies in foreign Languages along with very few number in Arabic.

Up till now, most of the studies are not entitled with 'Iraq', but rather they are with some foreign names or with ancient names like

(*) Member of the Academy of sciences, Baghdad, Profe. at College of Arts, Department of Archaeology, University of Mosul.

Greek term "Mesopotamia". This term has been translated into "the land between the two rivers" It is the most commonly used term. However, most of Iraqis do not know exactly what is meant by this term, viz, "Mesopotomia" let alone the ancient names like "Babel", "Assur", "Sumer" and so on.

Moreover, Akkadian and Summerian texts were and still are written in Latin and translated into foreign Languages. They introduced exsotic information about ancient history of Iraq. These text use biblical names of the rulers and kings of ancient Iraq.

Adopting such approach in dealing with history of ancient Iraq has religious and ethnic implications. A case like this isolates the present Iraq from its ancient history. Therefore, it is our responsibility to adopt pure Iraqi school that bases on solid scientific grounds in studying our ancient history and in writing its ancient Languages in Arabic Alphabet.